

حسنة القرن الماضي وسيئاته

لقد تناول الانقلاب الذي طرأ على الاخلاق العامة أسلوب الطعام ايضاً فان سرعة المواصلات وسهولتها وميل الحواس الظاهرة وارتقاءها قد ابدل ضرورة الطعام بضرورة الحس الظاهر بمعنى ان الانسان رجاء ارضاء شهوانه الذوقية قد تمدى حدود القناعة بان اثار الشهوات الصناعية بالتوايل الخاصة والمنبهات الداعية الى النهيم حياً بالاكثر من ضروب الاطعمة والملاذ فقد انتشر فن الطبخ واجادة الالوان في الاقطار على اختلافها من حيث الحرارة والبرودة وما اختلفت كمياته وكيفياته . كل ذلك لتحقيق شهوات النفوس واذواق السكان في لنوع الطعام دون النظر الى ما يحول دون ذلك من عدم الملاءمات الشخصية والمكانية مع هذه الطريقة في التغذية المختلفة الالوان والاشكال . وما اصدق ما قاله احدهم من ان ما نتاوله اليوم من الاطعمة ينقسم الى ثلاث درجات احدها لضرورة الغذاء وثانيها لضرورة الذوق وثالثها توقفاً للامراض التي تصيبنا في المستقبل . وقال شيشرون الخطيب الروماني: لقد احدث الشره من المصائب اكثر مما احدث الحرب فانه مصدر كثير من الاوصاب والادواء . فارباب الشره مستسلمون لعاداتهم في طعامهم وشرابهم بحكم الذوق لا بحكم الضرورة ولذلك تراهم عرضة لكثير من الامراض ومنهم من يفتربما يكرعه من المياه المعدنية في فرنسا والنمسا (في فيشي وكارلسباد) وسائر البلاد التي تنبجس فيها امثال تلك المياه فتربى في كل سنة يزور كلاً من تينك البلادين زهاء خمسين ألف زائر ويفرهم تسيلها الهضم معهم حتى اذا رجعوا الى اهلهم قريرة أعينهم بما شاهدوه من التحسين في صحتهم يعودون الى سالف عاداتهم من النهيم والبطنة « والبطنة كما قيل تأفن الفطنة » فيندمون

على ما فرطوا في جنب معدوم ولكن بعد ان يسبق السيف العذل
وان السواد الاعظم من العاملين الذين يتألف منهم جيش المجاهدين في الحياة يقضون
النهار في اماكن محصورة بعضم في مصنع وآخر في غرفة عمله وفريق في مكتب وغيره في
عزقن وكاهم يعملون بلا انقطاع بايديهم او بعقولهم فيصرفون جميعاً جزءاً عظيمياً من قوام
الطبيعية والعقلية ولا يتناولون اطعمتهم في اوقاتها ولا يرتاحون بعد غذائهم راحة كافية لتعمل
الاعضاء الهاممة عملها ولا يألقون من انواع السليبات غير اماكن القهوة ودور التمثيل
فيستشقون هواءً ملوثاً باكسيد الكربون وحامض الكربون وغيره من الهواى المنبعث من
تفانيق ماث من الاتفاس المجمعة في اماكن مغلقة يعوزها الترويح والهواى النقي المستنشق
بما يؤدي بن مختلفين الى تلك المحال الى اختلال احوال الهضم والبنية والقوة وتكون ابدانهم
مرتجاً خضياً لجراثيم الامراض وفي مقدمتها السل

وما جاء به هذا القرن من الاعمال العلمية والعقلية والطبيعية قد اثر في تحيط الناس كل
التأثير وخصوصاً في الغذاء والمجموع المصبي . وما احلى ما قاله ارسطو من ان الانسان يريد
امتاع حواسه ويبحث عن اسبابه اذ من الملد للباصرة ان تنظر وللاسامة ان تسمع وللجلد ان
يمس ولللسان ان يذوق وللشامة ان تستنشق

وجملة الامر ان نشوء المجتمع الانساني في القرن التاسع عشر قد جرى بقوة الجهاد
التواصل الذي اودى بجياة مئآت الالوف من الضحايا البشرية وقد نبه في المجاهدين وفي
اخلافهم حب الارتقاء والتهديب العقلي بحيث دخل الفكر الانساني في دائرة من الحركة
المججلة تسير ابداً الى غاية لا حد لها وادلها ابداً في قلق حرصاً على كشف اسرار الطبيعة
والانتفاع بقواها المكتونة والوقوف على القوانين القائمة بها . ولئن عني الانسان بقمع جماع
الطبيعة ونزع الترع وخرق القنوت وابتناء الطرق الحديدية في القفار والسهول الواسعة
التجدة جاً يربط القارئات بعضها ببعض فانه لم يعمل كل هذا رغبة في توسيع ميدان
جهاده وزيادة في مصادر الثروة العامة والخاصة بايجاد مصارف لمصنوعاته بل هناك شيء
من سائق الفطرة دعاه ان ينقل بذور التمدن الى البلاد النامية في آسيا وافريقية لانها
ظلت مباتنة لافكار الارتقاء والشعور الانساني وهما من خير ما نتجه القرن من صالح الاعمال
ولكن هذا الجهاد العظيم الذي اضطرت الانسانية ان تتحملة مدة قرن كامل قد احدث
امراضاً مختلفة كما انه زاد الشقاء الاجتماعي واشتدت حرب الحياة بما لم يعهد له نظير . نعم
وقف ولادة الامر على فساد النظام الاجتماعي الخاسر وايقنوا بالحاجة الملاسة الى مداواته

يبدانهم تضاعفوا عن الاقدام عليه بداعي قلة ما لديهم من الاسباب في تخفيف نتائج حركة الارثقاء وضمف الاساس الذي يقوم عليه بناء المجتمع الحديث . على ان الفطرة مدتهم الى الاخذ من معارف حملة العلم في فروع المعارف الاجتماعية المختلفة والاحتذاء بهديهم وخصوصاً فيما من شأنه ان يكون فيه النظافة العامة واصلاح حال الطبقة النازلة من العمالة وكانت البليك اول الدولات التي دعت الدول الى مؤتمر صحي دولي سنة ١٨٥١ و ١٨٥٣ ثم حذت فرنسا حذوها ومنذ ذلك اصبحت المؤتمرات الصحية الدولية تجتمع كل سنتين في عواصم اوربا . وتنقسم هذه المؤتمرات بحسب معارف من تأسست منهم فيمضي بعضها بالمباحث المتعلقة بالامم وباحصاء حركة الشعوب العامة في كل قطر وباسباب موت الاولاد في سن الطفولية وبمختر القنوات في المدن وارواثها بآء طاهر غذب . ويعني البعض الآخر بالامراض السارية وطرق الوقاية منها . ويدرس بعضها الانسان من حيث صنعته او حفظ صحته في صناعته من تغيير هواء المعامل والمصانع حيث يقم العامل ويمس ييدو مواد مضره او تركيبات كباوية تتعل فعل السموم او مواد نباتية او معدنية تخرج منها غيرة تسبب امراضاً رئوية . ويبنى بعضهم بيوت للعملة ومساكن رخيصة . ويبط بعضهم جناح حمايتهم على الاطفال في المدن الكبرى ويقوم على حفظ الصحة في المدارس . ويهتم بعضهم بوقاية الناس من السل والامراض الزهرية . ويبحث بعضهم في الطرق التي تحول دون انتشار تعاطي الالكحول . وبالجملة فكلمهم يد واحدة يسيرون نحو غاية واحدة وهي درس كثير من المشكلات الصحية وتدبير الصحة العامة ليوفروا لكل مملكة سكانها ويكثرها وسوادها ولينقبوا عن اسباب من شأنها ان تؤدي بالجنس البشري الى الكمال باصلاح ملكات الطبقة النازلة وتحسين غذائهم وتطهير الارض والهواء والماء . استبقاء لصحة سكان المدن العظمى وتقوية المقاومات الحيوية في الافراد ومقاومة لغارة جرائم الامراض السارية

وبالنظر لارتفاع كلمة الاشتراكية في اوروبا اضلرت حكوماتها والطبقة العالية من عملاء الاقتصاد فيها الى القيام باعمال تقم سلامة العمالة ومستقبلهم وبنياتهم تألفت عدة جمعيات تسخر بذل الاحسان للبائس والفقير وجمعيات متعاضدة على حب الخير . ووافقت دور الندوة والاندية السياسية في ممالك كثيرة على قوانين نبي الشيوخ والزمني مصارع السود وموارد المالكة وتقوم باودم في اوقات مرضهم ومصائبهم . ومنى عرف الناس كافة قيمة الهواء النقي والماء الجيد السائغ وما يفعلانه في الصحة والخطر الذي تتعرض له الحياة البشرية من فساد الارض بالمواد الالية العننة متى عرف الناس هذا يقدرن الانطباع على الاعتدال

حق قدرهم في اصابة الاعمار . ولا مندوحة للبشر اذا توفروا على اسباب النظافة والاعتدال ان يمنوا بتطهير الاخلاق العامة والخاصة من الشوائب وترقية الشعور الادي في الافراد ومن مجموع هذه الصفات تحقق نيات زعماء التمدن الحديث والداعين الى البلوغ به اوج الكمال .
 واذا التفت رائد الطرف على ماتم في الاعوام الاخيرة ادركت ان ما انبث في النفوس من

المضاء يقوي املاك في ان يتم القرن العشرين ما فات شقيقه الاكبر

وان ما ساعد الانسان على بلوغ درجة من الترفي فاق بها اسلافه في القرون الماضية هو « التماضد والتكافؤ » فهو العمل الذي كمل هامة التمدن في هذا القرن . ورمز هذا النظام: ان من الاتحاد قوة *La Union fait la force* ، وغاية هذا التكافؤ تقوية صلات الاسرات بالمعارف الاجتماعية ومساعدة المرء العاجز عن العمل من مرض وحادثة او عطلة او شجوخة او هرم فتألفت جمعيات حديثة غايتها ان تعطي رواتباً مماثلاً للعبادة او في حال الوفاة وقامت بعضها باعمال خيرية وتهدية صناعية وبذل بعضها بمجهود لنشر المعارف العلمية في مدارس عملية وتأسيس خزائن كتب وحدائق لعملة وبعضها اتخذت على نفسها القيام بالاعمال الصحية وتطهير المساكن وتحسين الشروط الحيوية في العملة وتعاهد بعضهم على مقاومة السل وذلك اولاً بالبحث عن اسباب الشقاء الاجتماعي ثم باحداث ملاحي ومصاح . وتألفت بعض جمعيات للقيام بمجابهة الامومة والطفولة . ناهيك بان مبدأ التكافل الاجتماعي قد اشربت النفوس حبه في البلاد الافريقية حتى ان فرنسا بعد ان كان فيها عام ١٨٩١ ٩١٤٤ جمعية واعضاؤها ١٤٧٢ ٢٨٥ ورأس مالها ١٨٣ ٥٨٧ ٤٥٠ فرنكاً فقد صارت سنة ١٩٠٤ ١٨٥٠٠ جمعية واعضاؤها ٣٧٠٠٠٠ ورأس مالها ٣٨ مليوناً ودخلها ٥٤ مليوناً .
 وكفى بانه تألف في شهر ابريل فقط سنة ١٩٠٤ في فرنسا ١١٧ جمعية جديدة

هذا ولا ريب انه ستعظم صلات التكافؤ بين مصالح الافراد ومصالح الاسرة البشرية الفعلى بكثرة تلك الجمعيات الراقية وتأصل ملكة التكافل الانساني فتزيد تلك الصلات في كل يوم عن اسم توطيداً . وكينها دارت الحمال فان هذا يعد من الارتقاء العظيم في السلم الاجتماعي على حين كان معدوداً من قبل من الطيالات الباطلة ولا بد ان يأتي يوم بعد فيه من الضرورات للسلامة العامة . فان انقصر القرن التاسع عشر بان بسط المشاكل الاجتماعية ومثلها على بساط الوجود فن الفروض المتحتمة على القرن العشرين ان يأتي على حلها الى عالم الشهود اه